ثلاث رسائل للجاحظ

نشر السيد يوشع فنكل في المكتبة السلفية بمصر ثلاث رسائل للجاحظ الاولى في الرد على النصارى والثانية في ذم اخلاق الكتاب والثالثة في القيان جعلتها ادارة مجلة الزهراء الغراء هدية لقرائها في سنتها الثانية . وقد وقعت كلها في (٧٧) صفحة . وقد قدم لها الناشر الفاضل مقدمة قال فيها ان الرسالة الاولى وجدها في مكتبة الازهر وفي خزانة كتب صديقنا احمد تيمور باشا اختارها عبيد الله بن حسان واما الرسالتان الثانية والثالثة فوجدهما في مكتبة نورالدين بك مصطفى من هواة الكتب في القاهرة . ثم ترجم العلامة الجاحظ ترجمة مختصرة نقلاً عن بعض الثقات الذين تعرضوا لذكره .

وقد نقل الناشر صورة كتاب للفتح بن خاقان كتبه الى الجاحظ وبه استدل على ان كتاب الرد على النصارى له وعلى منزلة الجاحظ من العلم قال : « ان اميرالمؤمنين يجد بك ، ويهش عند ذكرك ، ولولا عظمتك في نفسه — لعلمك ومعرفتك — لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ، ولغصبك رأيك وتدبيرك ، فيما انت مشغول به ومتوفر عليه . ولقد كان الق اليّ من هذا عنوانه ، فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك . فاعرف لي هذه الحال ، واعتقد هذه المنة على كتاب (الرد على النصارى) وافرغ منه وعجل به اليّ ، وكن من جدابه (؟) على نفسه ، وتنال مشاهرتك . قد استطلقته لما مضى ، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة ، وهذا مما لم تحتكم به نفسك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد قرأت رسالتك في (بصيرة غنام) ولولا اني ازيد في مخيلتك لعرفتك ما يعتريني عند قراءتها والسلام » . وانت ترى ان ابن خاقان كان يمنُّ على الجاحظ باقصائه عن مجلس الخليفة لئلا يضيع عليه وقته بعشرة العظماء و ينصرف الى التأليف . والجاحظ في غنية عن مسامرة الخلفاء ونقلد وزاراتهم وأعمالهم . قال ميمون بن هارون قلت للجاحظ : الك بالبصرة ضيعة فتبسم وقال : انا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار ، أهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب البيان والتبيين الى ابن ابي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت الى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد .

وبعد فلا شك في ان هذه الرسائل الثلاث هي للجاحظ لانها نمطه الخاص في تأليفه وانشائه ، منسوجة على أسلوبه العجيب في رسائله وكتبه ، وكل ما خاض ابو عثمان عبابه من الموضوعات ، تظنك وانت تتلوه وتتدبره كأنه لم يتقن غيره حياته ، هكذا هو فيما طبع له حتى الآن من كتاب الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء والتاج وغيرها من رسائله الغريبة في وضعها وعموم نفعها ، والتي تفنى الليالي ولا تنفك مما يستفاد منه ، وكلما تدارسه المتدارسون ازدادوا منه عقلاً جديداً ، وحكمة خالدة رائعة ، منذ عالج الجاحظ مئات من المباحث الدينية والمشاكل الاجتماعية والمسائل الأدبية ، فجلاها بتبيانه واي جلاء ، واردعها من واسع علمه وبعد نظره ما يستغرب و يستطرف على وجه الدهر ، ومن اقتصر على تلاوة ما كتب رحمه الله يجيء منه أديب وكاتب وعالم ، وعسى الايام ان تظفر الباحثين باكثر ماخطته انامله التي افضلت على العلم والعرب والاسلام ، وكل درة يعثر عليها من درره تعد في الذخائر الثمينة من ركاز الآداب الرفيعة والكنوز المدفونة .

والى القاريء جملة من رسالة القيان أوردها الجاحظ على لسان غيره في تاريخ الحجاب في الاسلام شأنه في بعض مواطنه اذا اراد إثبات قضية او التزهيد في امر ومن ذلك انه اعترف بانه كان يضع الكتاب فلا يؤبه له فيضع الآخر و ينسبه الى من تقدمه ومنهم سهل ابن هرون فيهش له الناس ويعجبون به ولعل قوله هذا في القيان من هذا القبيل قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net